أبو بكر القاضي

إبراهيم عليه السلام وكلمات الابتلاء

د. أبوبكر القاضي

المجلس الثالث: العطاء أحبُ إليك من المنع

abobakrelkady AboBakr Elkady
www.abobakrelkady.net KonnashatElkady

{ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ} [البقرة: ١٢٤]

كلمات الابتلاء التي ابتلي بها إبراهيم -عليه السلام- حتى تسنى له الرفعة والاصطفاء، والاجتباء من الله أن جعله للناس إماما، جعله لسان الصدق في الآخرين، فكل من يأتي بعده يتعطر بذكر إبراهيم -عليه السلام-، يثني على إبراهيم -عليه السلام- عبر العصور.

كلمات الابتلاء التي ابتلي بها إبراهيم -عليه السلام-؛ كان في كل مرة يؤكد إبراهيم أن الله أحب إليه من كل شيء، وآثر لديه من كل شيء.

يروى في بعض الإسرائيليات "أن الله عزوجل لما أوحى إلى إبراهيم عليه السلام أني اتخذتك خليلا سُمِع لقلب إبراهيم دقًا عنيفًا" ملك الملوك يخبرك أنه اتخذك خليلا، والخلة هي شدة المحبة.

قد تخللت مسلك الروح مني---- وبذاك سمي الخليل خليلا

محبة تتخلل القلب لا تدع موضع في القلب إلا تخللته.

"فقال: يا رب بما ذاك؟" سأل إبراهيم عليه السلام يا رب وبما ذاك؟ لماذا اتخذتني خليلا؟ ولله المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم هو يصطفي من عباده من يشاء، وهو يُحِب ويُحَب لأن من أسمائه عزوجل الودود.

"فقال: يا إبراهيم لأني رأيت العطاء أحب إليك من المنع"

العطاء كان أحب إلى إبراهيم في كل مرة من الابتلاءات، من المنع، كان يقدم العطاء، كان يقدم البذل، قدم جسده للنيران، قدم طعامه للضيفان، قدم ولده للقربان، بذل حياته في الله عزوجل، أقام بيت الله تبارك وتعالى هو وولده.

فكان إمامًا للناس وكانت أعظم بقعة يطأها الأقدام بعد ذلك البقعة المباركة.

ترك هاجر وولدها في هذه البقعة التي لا شيء فيها لا إنس فيها ولا ماء ومع ذلك أبدله الله خيرًا من ذلك وجعله إمامًا يقتدى به، وهذه البقعة هي خير بقعة على وجه الأرض.

قدم كل شيء إبراهيم -عليه السلام- ولم يؤثر شيئًا على ربه تبارك وتعالى، وحتى حين تخللت في قلبه أو التفت في قلبه شعبة إلى إسماعيل -عليه السلام- ابتلي في إسماعيل، وأمره الله تبارك وتعالى أن يذبحه رأى ذلك في الرؤيا كما سيأتي بإذن الله تفصيل ذلك.

يذبحه حتى يتحرر قلب إبراهيم -عليه السلام- حتى من هذه الشعبة التي التفتت إلى إسماعيل عليه السلام.

غار الحبيب على حبيبه، غار الخليل على خليله، وما كان من الخليل عليه السلام إلا الامتثال، إلا التمام، إلا الوفاء، كان العطاء دومًا أحب إلى إبراهيم -عليه السلام- من المنع.

البذل، بالبذل تصل إلى الله عزوجل، بالبذل ترتقي درجات في السير إلى الله عزوجل، بالجهاد في سبيل الله.

المجاهد من جاهد نفسه في ذات الله، قال تعالى: {وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ} [العنكبوت: ٦٩]

وقال تعالى: {وَمَن جَـٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَـٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلۡعَـٰلَمِينَ} [العنكبوت: ٦]

وقال تعالى: {إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ * ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلۡعَـٰبِدُونَ ٱلۡحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلۡـَٔامِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ}

[التوبة:١١١،١١٢]

هي صفقة العمر أن تبذل حياتك لله عزوجل، أن تبذل حياتك ومالك لله عزوجل؛ تُرَد عليك أوفر ما كانت، ترد عليك خيرًا مما كانت.

هكذا من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه، قال تعالى: {وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَىۡءٍ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ} [سبأ: ٣٩]

كل ما تنفق من إنفاق معنوي أو مادي في سبيل الله عزوجل، كل ما تنفق من مشاعر، من خُلُق، من وقت، من مجهود، من مال، من حياة في سبيل الله عزوجل يرد عليك أوفر ما كان.

- الله هو المؤمن الذي يؤمن أولياؤه، ولا يضيعهم، ولا يسلمهم لأعدائه عزوجل.
- الله تبارك وتعالى هو الودود الذي يُحِب ويُحَب.
- الله هو الشكور الذي يشكر القليل من العمل.

"قال اللهُ تعالَى : يا ابنَ آدمَ ! قم إليَّ أمشي إليكَ، وامشِ إليَّ أُهَرْوِلُ إليكَ"[أحمد، ووكيع وأبو نعيم]؛ نعم الرب ربنا تبارك وتعالى.

قال تعالى: { وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ} [البقرة: ١٢٤]

هذا الابتلاء يُصطفى به العباد، يُميز به العباد بين الخبيث والطيب.

قال تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ * لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجۡعَلَ ٱلۡخَبِيثَ بَعۡضَهُۥ عَلَىٰ بَعۡضٖ فَيَرۡكُمَهُۥ جَمِيعٗا فَيَجۡعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ} [الأنفال: ٣٦،٣٧]

إذًا ما هي الحكمة من ابتلاءات البشر؟

هو أن يتمايز الخبيث من الطيب، أن يرتقي الطيب درجات وأن ينزل الخبيث دركات، قال تعالى: { ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا} [الإسراء: ٢١] لذلك ينبغي أن نفهم ارتباط قضية الابتلاء بقضية الإمامة في الدين؛ أنت تدعو واجعلنا للمتقين إماما، لكن هل هذا بلا ثمن؟ هل هذا بلا دفع ضريبة؟ هل هذا بلا كلفة؟ بل لابد له من كلفة، لابد له من بذل، لابد له من تضحية؛ أن يكون العطاء أحب إليك من المنع هو أول طريق الإمامة في الدين .